الحالة الإنسانية

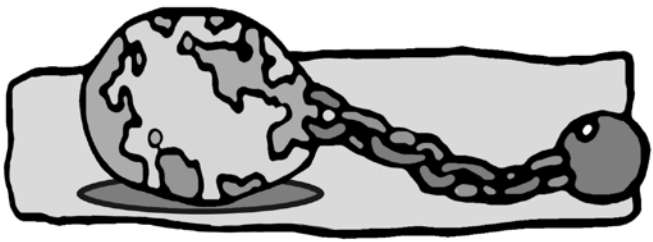

السبت بعد الظهر

المراجع الأسبوعية: رومية ١: ١٦، ١٧، ٢٢- ٣٢؛ ٢: ١- ١٠، ١٧- ٢٤؛ ٣: ١، ٢، ١٠- ١٨، ٢٣.

آية الحفظ: **«إِذِ الْجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللهِ» (رومية ٣: ٢٣).**

في بداية الرسالة إلى رومية يسعى الرسول بولس إلى تثبيت الحق المركزي للإنجيل- حالة الإنسان التعيسة. هذه الحقيقة تُظهر أنه منذ السقوط في الخطيّة وصاعداً، قد تلوثنا جميعنا بالخطيّة. إنّها متأصّلة في الجينات مثل لون عيوننا.

لقد كتب المصلح مارتن لوثر الآتي معلّقاً على رسالة رومية: «التعبير القائل 'الجميع تحت الخطية' يجب أن نأخذه بحسّ روحي؛ كأن نقول، ليس كما يظهر الناس في أعين أنفسهم ولا في أعين الآخرين ولكن كما يَظهرون أمام الله. هم بجملتهم تحت الخطيّة، أولئك الذين يظهرون متعدين في عيون الناس، وكذلك أولئك الذين يظهرون أبراراً في أعين أنفسهم وأمام الآخرين. إنّ أولئك الذين يقومون بأعمال صالحة ظاهرّياً، إنّما يفعلون ذلك خوفاً من العقاب أو حبّاً في الربح والمجد، أو طلباً لغرض معيّن، وليس بذهنٍ راضٍ وراغبٍ في عمل الصلاح. بهذه الكيفيّة فإنّ الإنسان يمرّن نفسه باستمرار في أعمال صالحة مرئيّة، ولكن داخليّاً فهو غارق في رغبات خاطئة وملذّاتٍ شهوانيةٍ شرّيرة، هي مضادة للأعمال الصالحةِ السويّة» (مارتن لوثر، تعليق على رسالة رومية، صفحة ٦٩).

*نرجو التعمق في موضوع هذا الدرس استعداداً لمناقشته يوم السبت القادم الموافق ٢١ تشرين الأول (أكتوبر).

قوّة الله

«لأَنِّي لَسْتُ أَسْتَحِي بِإِنْجِيلِ الْمَسِيحِ، لأَنَّهُ قُوَّةُ اللهِ لِلْخَلاَصِ لِكُلِّ مَنْ يُؤْمِنُ: لِلْيَهُودِيِّ أَوَّلًا ثُمَّ لِلْيُونَانِيِّ. لأَنْ فِيهِ مُعْلَنٌ بِرُّ اللهِ بِإِيمَانٍ، لإِيمَانٍ، كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: أَمَّا الْبَارُّ فَبِالإِيمَانِ يَحْيَا» (رومية ١: ١٦- ١٧). ماذا تقول الفقرة الكتابية في رومية ١: ١٦، ١٧؟ كيف اختبرت المواعيد والرجاء المتضمّن فيها؟

يوجد العديد من الكلمات الهامّة الرئيسيّة في هذه الفقرة:

١. الإنجيل. هذه هي الترجمة اليونانية لكلمة تعني حرفياً «رسالة سارّة» أو «أخبار سارّة». ولو أخذت الكلمة بمفردها فقد تشير إلى أيّة رسالة مُفرِحة، ولكن لأنّها مرتبطة بكلمة «الْمَسِيحِ» فهي تعني «الأخبار السارّة عن المسيّا» (كلمة "المسيح" هي الترجمة للكلمة اليونانية التي تعني المسيّا). الأخبار السارة هي أنّ المسيّا قد جاء ويمكن للناس أن يحصلوا على الخلاص عن طريق الإيمان به. إنّنا نجد الخلاص في يسوع وفي برّه الكامل- وليس في أنفسنا أو حتّى في ناموس الله.

٢. البِرّ. هذه الكلمة تشير إلى صفة «التوافق والرضى» مع الله. ولقد ظهر معنى خاص لهذه الكلمة في رسالة رومية والتي سوف نتناولها في دراستنا لمحتويات الرسالة. وتجدر الإشارة إلى أنّ الآية في رومية ١: ١٧ تربط هذه الكلمة بِاسْمِ الجلالة. إنّ هذا البرّ يأتي من الله، والله هو موجِده وواهبه. وكما سنرى، فإنّ هذا هو البرّ الوحيد الفريد الذي له الصلاحية أن يمنحنا الوعد بالحياة الأبديّة.

٣. الإيمان. في اللغة اليونانيّة، الكلمتان المترجمتان «يؤمن» و «إيمان» في هذه الفقرة هما الفعل والاسم من مصدرٍ واحد. إنَّ معنى الإيمان وارتباطه بالخلاص سيظهر جليّاً إذ نتابع دراسة رسالة رومية.

هل تسأل نفسك إذا كنت مُخَلّصاً أَمْ لا، أو حتى في إمكانيّة خلاصك؟ ما الذي يجلب هذه المخاوف؟ ما هو أساس هذه المخاوف؟ هل هذه المخاوف حقيقة واقعة؟ بمعنى، هل هذه المخاوف هي نتيجة عيشك لأسلوب حياة يمنع مجاهرتك بإيمانك والعيش وفقاً له؟ ما الاختيار الذي يجب أن تتّخذه حتّى يكون لك الثقة في مواعيد الله التّي لك في يسوع؟

الاثنين

١٦ تشرين الأول (أكتوبر)

الْجَمِيعُ أَخْطَأُوا

اقرأ رومية ٣: ٢٣. لماذا من السهل علينا أن نؤمن بهذا الكلام اليوم كمسيحيّين؟ وفي نفس الوقت، ما الذي قد يجعل بعض الناس يشككون في صدق هذه الآية؟

من المدهش حقّاً، أنّ بعض الناس يتَحدّون فكرة الخطيّة البشريّة، مجادلين بأنّ الناس صالحون بالفطرة. والمشكلة، على أي حال، تنبع من عدم فهم الصلاح الحقيقي. فيمكن أن يقارن الناس أنفسهم بآخرين فيشعرون بارتياح ورضى عن حالتهم. أليس من السهل أن نجد أناساً أسوأ منّا فنقارن أنفسنا بهم. ولكّن ذلك ليس ضماناً للرضى عن أنفسنا. إنّما عندما نقابل حالتنا مع الله ومع القداسة والبرّ الإلهي فلا يخرج أحدنا من هذه المقارنة إلاّ بشعور الخزي والنقص الذريع.

وتتحدّث الآية في رومية ٣: ٢٣ أيضاً عن مجد الله، ولقد فُسّرت هذه العبارة بطرق متنوعة، ولربّما أبسط تفسير لمحتوى هذه العبارة هو ما ورد في ١كورنثوس ١١: ٧. «فَإِنَّ الرَّجُلَ ... صُورَةَ اللهِ وَمَجْدَهُ.» وفي اليونانية تُستخدم كلمة «صُورَة» بدل كلمة «مجد». لقد شوّهت الخطيّة صورة الله في البشر. والبشر الخطاة بعيدون كلّ البعد عن أن يعكسوا صورة الله أو مجده.

اقرأ رومية ٣: ١٠- ١٨. هل تغيّر شيء اليوم؟ أيّ من تلك الصور هي الأفضل في وصفك؟ ما الذي كنت ستكون عليه لو لم يكن المسيح في حياتك؟

ومهما كانت حالتنا سيئة، فحالتنا ليس ميؤوس منها. فالخطوة الأولى هي الاعتراف بالخطيّة المهيمنة على حياتنا وعجزنا عن فعل أي شيء حيالها بقوّتنا الذاتيّة: إنّه عمل الروح القدس لإظهار هذه القناعة. فإذا لم يقاوم الخاطئ الروح القدس فهو سوف يقوده لأن يمزّق القناع، قناع المقاومة المظهري والتبرير الذاتي ويلقي بنفسه في أحضان المسيح متوسّلاً وطالباً رحمته صارخاً «اللّهُمَّ ارْحَمْنِي، أَنَا الْخَاطِئَ» (لوقا ١٨: ١٣).

متى كانت آخر مرّة ألقيت فيها نظرة فاحصةً وجادة على نفسك وعلى دوافعك وأفعالك ومشاعرك؟ مثل هذا الإجراء يمكن أن يصير "اختباراً" مؤلماً جدّاً، أليس كذلك؟ فما هو رجاؤك الوحيد؟

الثلاثاء

١٧ تشرين الأول (أكتوبر)

هل مِن تقدّم؟

عند نهاية القرن العشرين، عاش الناس بفكرة أنّ الإنسانيّة آخذة في التقدّم المطّرد، وأنّ المبادئ الأخلاقيّة متزايدة وأنّ العلم والتكنولوجيا سيساعدان على تأسيس المدينة الفاضلة. وكان يُعتقد بأنّ البشر كانوا يسلكون الطريق صوب الكمال. من خلال التعليم القويم والتدريب الأدبي الروحي، كان يُتَوهّم أنّ البشر سوف يتقدّمون هم ومجتمعهم. كان كلّ ذلك يُفترض حدوثه بالجملة بمجرّد دخولنا في القرن الرائع الجديد، القرن الحادي والعشرين.

وللأسف، لم تتغيّر الأمور تماماً بهذه الكيفيّة، أليس كذلك؟ فإن القرن الحادي والعشرين كان من أشدّ القرون عنفاً وبربريّة في التاريخ. ومن المفارقات أن التقدم العلمي هو الذي مَكّن البشر من قتل الآخرين على نطاق أوسع مما كان يحلم به أعتى المجرمين عديمي الأخلاق في الماضي! فماذا كانت المشكلة؟

اقرأ رومية ١: ٢٢- ٣٢. بأي طرق نرى الأمور التي كُتِبَت في القرن الأول الميلادي تأخذ مجراها الآن في القرن الحادي والعشرين؟

قد نحتاج إيماناً لنصدّق أموراً كثيرةً في المسيحيّة: من بينها، قيامة الأموات، المجيء الثاني، السماء الجديدة والأرض الجديدة. ولكن مَن ذا الذي يحتاج إيماناً ليصدّق الحالة المتردّية للبشرية؟ فاليوم كل واحد منّا يعيش في نتائج الحالة المتدهورة.

ركّز اهتمامك على رومية ١: ٢٢، ٢٣. كيف نرى هذا المبدأ يتجلى اليوم؟ برفضهم الله، ما هي الأمور التي أخذ البشر في عبادتها وتأليهها في عصرنا الحالي بدلاً من عبادة الله؟ وكيف صاروا أغبياء بفعلهم هذا؟ أحضر إجابتك للصف في يوم السبت.

الأمر الذي يشترك فيه اليهود والأمميّون

تناول الرسول بولس في الأصحاح الأول من رسالته إلى رومية، بصورة خاصّة، خطايا الأمم الوثنيين، الذين ذهبوا بعيداً عن الله منذ زمن سحيق، وهكذا سقطوا في أحطّ الممارسات الرديّة.

لكنّ بولس لم يغفل أو يتغاضى عن ممارسات شعبه وبني جنسه أيضاً، فبالرغم من الامتيازات التي أُعطيت لهم (رومية ٣: ١، ٢)، كانوا هم أيضاً خطاة، مدانين حسب ناموس الله الأدبي وبحاجة إلى نعمة المسيح المخلّصة. وبهذا المعنى، يتساوى اليهود والأمميون من حيث أنهم جميعاً خطاة قد تعدّوا وصايا الله ويحتاجون لنعمة الله لكي يخلصوا.

اقرأ رومية ٢: ١- ٣، ١٧- ٢٤. ما الذي يحذّر منه بولس الرسول هنا؟ ما الرسالة التي ينبغي علينا جميعاً، يهوداً كنا أم أمميّين، أن نتّعظ بها من هذا الإنذار؟

«بعد أن بيّن الرسول بولس أنّ كل الوثنيين هم خطاة، فهو الآن، بصورة خاصة وبقوّة كبيرة مؤثرة، يُظهر بأنّ اليهود أيضاً يعيشون في الخطيّة، لأنّهم يطيعون الناموس ظاهريّاً فقط، أي بناءً على الحرف وليس بحسب الروح» (مارتن لوثر، تعليق على رسالة رومية، صفحة ٦١).

في كثير من الأحيان، يكون من السهل أن نرى ونشير إلى خطايا الآخرين. كم مرّةً، مع ذلك، نكون أنفسنا مجرمين نرتكب نفس الآثام أو أفظع منها؟ المشكلة هي أننّا غالباً ما نتعامى عن أخطائنا وننظر بالرضى عن أنفسنا بسبب مقارنة حالتنا بحالات مَن هم أسوأ منّا.

لكن بولس لا يرضى عن هذا، وهو يحذّر بني جنسه ألاّ يتسرّعوا في الحكم على الأمميّين، لأنّهم، أي اليهود، حتى لو كانوا خاصّة الله المختارة – فهم خطاة. وقد كانوا في بعض الحالات أكثر جرماً من الوثنيين الذين كان اليهود يكيلون لهم الإدانة والاتّهامات، لأنّ اليهود قد حصلوا على نور أكثر من الأمميين.

والنقطة التي يؤكد عليها بولس هنا هي أنّه لا يوجد فيما بيننا إنسان بار. لا أحد فينا يصل إلى المستوى الإلهي المطلوب. لا أحد صالحٌ بِالفِطْرَة أو تقي بالوراثة. فسواء يهودي أم أممي، ذكر أم أنثى، غنيّ أم فقير، يخاف الله أو يرفضه، فجميعنا مدانون، ولولا نعمة الله كما هي معلنة في إنجيله، لكنّا جميعنا تحت دينونة وبلا رجاء.

كم مرّة، ولو بالفكر، تدينُ الآخرين في أمور قد تكون أنت نفسك مجرماً فيها؟ بالتفكير فيما كتبه الرسول بولس هنا، كيف يمكنك أن تتغيّر؟

الإنجيل والتوبة

«أَمْ تَسْتَهِينُ بِغِنَى لُطْفِهِ وَإِمْهَالِهِ وَطُولِ أَنَاتِهِ، غَيْرَ عَالِمٍ أَنَّ لُطْفَ اللهِ إِنَّمَا يَقْتَادُكَ إِلَى التَّوْبَةِ؟» (رومية ٢: ٤) ما هي الرسالة المتضمّنة لنا هنا بخصوص مسألة التوبة؟

يجب أن نلاحظ بأنّ لُطْفَ الله يقودنا، ولا يجبرنا كخطاةً للتوبة. فالله لا يمارس الإكراه. فهو صَبُور طويل الأناة ويسعى لجذب جميع الناس بمحبته. فالتوبة بالإرغام تقضي على الغرض منها، أليس كذلك؟ إنّ فرض الله التوبة بالقوّة، ألا يَخْلَص كل إنسان إذن؟ لأنّه لماذا يجبر البعض على التوبة دون غيرهم؟ ينبغي أن تكون التوبة عملاً ناتجاً عن الإرادة الحرّة واستجابة لعمل الروح القدس في حياتنا. نعم، التوبة هي هبة من الله، ولكن يجب علينا أن نكون مستعديّن ومنفتحين لقبولها. إنّها اختيار حرّ، نستطيع بمحض إرادتنا أن نتخذه لأنفسنا.

ما الذي يحدث لأولئك الذين يرفضون التوبة، ويستمروّن في العصيان؟ (رومية ٢: ٥- ١٠).

يشدّد الرسول بولس على الأعمال الصالحة في رومية ٢: ٥- ١٠، ويكرر التشديد على ذلك في كلّ رسالة رومية. إن عبارة التبرير بالإيمان وبدون أعمال الناموس، لا ينبغي تفسيرها بأنّ الأعمال الصالحة لا مكان لها في الحياة المسيحيّة. فمثلاً في رومية ٢: ٧ يأتي الخلاص للذين يطلبونه بِصَبْرٍ فِي الْعَمَلِ الصَّالِحِ. ومع أنّ المجهود البشري لا يجلب الخلاص، فهو جزء من اختبار العمل الخلاصي. من الصعوبة بمكان أن يتخيّل المرء إنساناً بعد قراءة الكتاب المقدس، يخرج مقتنعاً بعدم أهميّة الأعمال الصالحة. التوبة الخالصة الصادقة من صميم القلب سيتبعها تصميم على الانتصار والتخلّص من الأمور التي نحن بحاجة إلى أن نتوب عنها، ومن ثمّ الانخراط في العمل الصالح.

هل تهيمن عليك روح التوبة؟ هل تطلبها بإخلاص، أَمْ أنّك تتغاضى عن أخطائك وتقصيراتك وخطاياك؟ وإذا كنت تتغاضى عن هذه الأمور، فكيف تتغيّر؟ ولماذا يجب أن تتغيّر؟

الجمعة

٢٠ تشرين الأول (أكتوبر)

لمزيد من الدرس: «وهكذا تبيّن الاصطلاحات الكتابيّة أنّ الخطيّة ليست مصيبةً نزلت على الإنسان مباغتةً وإنّما هي نتيجة لنشاط وعمل إرادي واختيار شخصي محض. والأبعد من ذلك، فالخطيّة ليست غياب الصلاح، إنما هي تقصير البشر في بلوغ توقعات الله لهم. إنها مسار شرّير قد اختاره الإنسان بإرادته الحرّة. إنّها ليست ضعفاً لا يُحاسب عليه الإنسان، لأنّ الإنسان في حالة ارتكاب الخطية يقرّر عمداً أن يخطئ بعصيانه أوامر الله وتعدّيه ناموس الله وفشله في الاتّعاظ بكلمة الرب. فالخطية تحاول تخطّي الحدود التي وضعها الله. بالاختصار ... الخطيّة هي تمرّد على الله» [دليل لاهوت الأدفنتست السبتيين (هاغرستون: ماريلاند: ريفيو آند هيرالد للنشر، ٢٠٠٠)، صفحة ٢٣٩].

«لقد وُضعت أمام ناظريّ حالة العالم. فاللأخلاقية منتشرة في العالم في كلّ مكان. الفسق هو خطيّة العالم الكبرى الآن في هذا العصر، ولم يكشّر الفساد عن أنيابه من قبل بهذه الكيفيّة. كما أنّ الناس واقعون تحت سلطان عقار منوّم، ومحبو التقوى والصلاح قد يئسوا من تمادي الفساد والشرّ. والفساد لا يستشري فقط بين عديمي الإيمان والمستهزئين. لو كانت الحال هكذا لهان الأمر، فكثير من الرجال والنساء الذين يدينون بدين المسيح هم مجرمون. فحتّى الذين يدّعون بأنّهم ينتظرون ظهوره على السحاب، ليسوا أكثر استعداداً لذلك الرجاء من الشيطان نفسه. إنّهم لا يسمحون للروح القدس أن يغسلهم من أدران الخطيّة بالتوبة الحقيقية. إنّهم قد خدموا شهواتهم طويلاً حتى صار طبيعيّاً أن تكون تصوّراتهم وأفكارهم دنسة وتخيلاتهم فاسدة» (روح النبوة، شهادات للكنيسة، الجزء الثاني، صفحة ٣٤٦).

أسئلة للنقاش

١. ١.كيف تجيب على أولئك الذين، بالرغم من كلّ ما حدث، يصرّون على أن البشرية تتحسن وتتقدم؟ أي جدال يقدمون وما الردّ على ذلك؟

٢. انظر إلى الاقتباس المأخوذ من كتابات روح النبوة في دراسة يوم الجمعة. إذا رأيت نفسك في هذا النصّ، فما هي إجابتك؟ لماذا من المهم ألاّ تفشل وتيأس، بل تواصل مطالباً بإتمام وعود الله المتعلقة: أولاً، بالغفران، وثانياً، بالتطهير؟ مَن ذا الذي يريدك أن تقول لنفسك بأنك غارق في الفساد ولا يمكنك أن تَخلَص، وبأنه من الأفضل أن تستسلم ويتأس؟ وهل تستمع إليه أَمْ إلى يسوع الذي يقول لنا: «وَلاَ أَنَا أَدِينُك. اذْهَب... وَلاَ تُخْطِئ... أَيْضًا» يوحنا ٨: ١١.

٣. لماذا من المهم لنا كمسيحيّين أن نفهم حالة الإنسان الخاطئة الفاسدة؟ وماذا يمكن أن يحدث عندما نتغاضى عن هذه الحالة المحزنة؟ ما الأخطاء التي يقودنا إليها فهمنا الخاطئ لحالتنا الحقيقيّة؟

٤. فكّر في عدد البروتستانت الذين اختاروا أن يموتوا عن أن يتنازلوا عن إيمانهم. ما مدى قوة إيماننا؟ هل إيماننا قوي بما يكفي ليجعلنا نموت لأجله؟